

سيميائية العنوان في قصيدة "برء العليل وري الغليل" لابن الخلوف القسنطيني

Semiotics of the Title in Ibn al-Khalouf al-Kacentini's Poem " Bar' Al-'Aleel Wa Ray Al-Ghaleel" (Lit. The Salving of the Ailing and the Slaking of the Thirsty)

ط.د. مباركة باحدي^{1*} ، أ.د. زينب قوني²

¹ جامعة الوادي، (الجزائر)، bahdi-mebarka@univ-eloued.dz

² جامعة الوادي، (الجزائر)، zineb-gouni@univ-eloued.dz

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية

تاريخ النشر: 2024/09/30

تاريخ المراجعة: 2024/09/24

تاريخ الإيداع: 2024/01/18

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن البنى الدلالية للعنوان في قصيدة من قصائد المدح في خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم من ديوانه "جني الجنتين في مدح خير الفرقتين" للشاعر الجزائري ابن الخلوف القسنطيني وهي قصيدة "برء العليل وري الغليل"، حيث يحمل عنوانها أنظمة سيميولوجية وبنيات دلالية وتركيبية، لذا سلطنا الضوء على هذا العنوان لإبراز قيمته ووظائفه الجمالية وأبعاده الأيديولوجية وإيحاءاته الشعرية من خلال مقارنته سيميائياً، لنصل إلى مدى براعة الشاعر في جعل عنوان قصيدته خطاباً يحمل العديد من التأويلات والدلالات التي تنم عن ذكائه في اختيار العنوان.

الكلمات المفتاحية: العنوان، سيميائية، الدلالة، العليل، الغليل، الوظيفة.

Abstract:

This study aims to explore the semantic structures of the title in a eulogistic poem dedicated to the Prophet Muhammad (peace be upon him) from Ibn al-Khalouf al-Kacentini's collection "The Heavenly Harvests in Laudation of the Paragon of Both Sects". The specific poem under investigation is titled "The Salving of the Ailing and the Slaking of the Thirsty". The analysis focuses on the title's semiotic connotations, semantic and structural compositions. Through a semiotic approach, we illuminate the title's aesthetic value, ideological dimensions, and poetic implications. This examination unveils the poet's astuteness in selecting a title brimming with multiple interpretations and connotations.

Key words: Title, Semiotics, Function, Semantics, Ailing, Thirsty.

تقديم:

ركزت دراسات النقاد قديماً على تقييم مضمون النص الإبداعي فجعلت منه مركزاً أساسياً للدراسة ملغيةً بذلك كل ما يحيط بالنص من الجوانب الخارجية، وهذا ما جعلها تقع في فخ النقد الانطباعي وعدم تجديد المنهج النقدي الذي أصبح لا يواكب تطوّر أجناس الأعمال الأدبية الحديثة؛ ولكن بعد ظهور المنهج السيميائي سنة 1968م باعتبارها نظرية تقف في وجه البنيوية فُلبت الموازين في الدراسات، وأصبح التركيز منصبا على العناصر المصاحبة للنص لفهم الخطاب الفني وفهم أسسه، خاصة عندما سلّطت هذه الدراسات النقدية الجديدة الضوء على المقاربات السيميولوجية، وركز على أهم عتبة من العتبات الخارجية ألا وهي عتبة العنوان باعتباره أهم عناصر النص الموازي، ليشكل بذلك علماً دقيقاً له منهجيته وأسس وقواعده وأصوله يعرف بعلم العنوان (Titrologie) أو العنونة، وبما أن العنوان هو المفتاح السحري للدخول إلى عالم النص والمسلك الوحيد إلى الفضاء الحقيقي للنص، "ولأنه أهم عنصر مساهم في تفجير سيرورة الانفتاح التأويلي"¹، فقد اهتم به العديد من النقاد المعاصرين الغربيين والعرب بشكل كبير وهذا ما جعله يتصدّر مركز السيادة على بقية العلامات النصية المصاحبة له، فساهموا في تأسيسه وصياغته لأنّ العنوان علامة نصية مرتبطة جدا بالنص ولا يمكن تجاوزها فأصبح نظاماً له أبعاده الأيديولوجية والجمالية في علم العلامات،² وبالرغم من أن الأعمال الشعرية قديماً تحمل العديد من العناوين إلا أن الدراسات النظرية قديماً لم تعطي اهتماماً بالغاً لعنوان القصيدة الشعرية بل وُجدت فيها بعض الإشارات لتعريف العنوان لغة فقط، في حين أعطت الدراسات النقدية الجديدة العديد من المفاهيم الاصطلاحية للعنوان وقد تعددت تبعاً لاختلاف المناهج والرؤى ومن بين هذه المفاهيم ما يلي:

أولاً: تعريف العنوان:

أ- تعريف العنوان عند النقاد المعاصرين الغرب:

يعد ليو هويك Louis Hoek المؤسس الأول والفعلي لعلم العنوان والذي قام "برصد العنونة رصداً سيميوطيقياً من خلال التركيز على بنائها ودلالاتها ووظائفها"³، فعرف العنوان تعريفاً شاملاً ودقيقاً في كتابه "سمة العنوان la marque de titre بكونه" مجموعة من العلامات اللسانية من علامات وجمل وحتى نصوص قد تظهر على رأس النص تدل عليه وتعيّنه وتشير لمحتواه الكلي وتجذب جمهوره المستهدف."⁴ ومن خلال هذا المفهوم السابق يمكن القول إن العنوان عبارة عن دلائل لسانية - مجموعة من الدوال تحمل مدلولات معينة- يوضع في بداية النص من أجل أن يحدد مضمونها الجمالي بالرغم من قصر دلائله اللفظية، إلا أن الغاية منه هي جذب جمهور معين متذوق للقصائد الشعرية. ومن هنا يرى روبرت شولز أن العنوان هو الذي يخلق القصيدة حينما اعتبر أن العنوان هو الذي يسمي القصيدة ويعينها ويكوّن أجواءها النصية والتناسية عبر السياق الداخلي والخارجي لها.⁵ في حين أن رولان بارت كما يؤكد جميل حمداوي يرى أن العناوين "عبارة عن أنظمة دلالية سيميائية تحمل في طياتها قيماً أخلاقية، واجتماعية، وبيولوجية وهي رسائل مسكوكة مضمّنة بعلامات دالة مشبعة برؤية العالم يغلب عليها الطابع الإيحائي."⁶

بمعنى أن العنوان عنده عبارة عن رسالة مصغرة تحمل رؤية عالمية من خلال دلالاته التي تحمل العديد من الإيحاءات ولا يمكن فهم هذه الرسالة إلا من خلال قراءة ما تحت السطور من إيحاءات مدلولاته. أما "جيرار جنيت" Gérard Ginette والذي يعد من بين النقاد الذي قاموا بدراسة علمية وممنهجة في مقارنة العتبات النصية عامة والعنوان بصفة خاصة في كتابه (العتبات SEUILS)، فعرف العنوان على أنه "عبارة عن كتلة مطبوعة على صفحة العنوان الحاملة لمصاحبات أخرى، مثل: اسم الكاتب أو دار النشر وغيرها، ولكنه هو الذي يسيطر ويفرض وجوده من بين جميع المصاحبات."⁷ وعليه فالعنوان عنده يدخل ضمن دراساته للمتعاليات النصية تحت مصطلح النص الموازي إلا أن للعنوان أهمية كبيرة لأنه يحمل إيحاءات تكشف عن مضمون النص.

ب- تعريف العنوان عند النقاد المعاصرين العرب:

اتبع النقاد المعاصرين العرب خطى النقاد الغرب في دراستهم للعنوان إلا أنهم نظروا إليه بمنظور عام على "أنه العنصر الذي يحدّد هويّة النصّ ويميّزه عن غيره من الهويات الأخرى، فهو اختصار وإيحاء لما هو مخفي لمقصود النص فيوحي بشيء وعد به."⁸

ومن بين الباحثين السابقين لدراسة العنوان المغربي محمد مفتاح والذي يرى " أن العنوان هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه وهو الذي يحدّد هويّة القصيدة فهو (...) بمثابة الرأس للجسد، والأساس الذي تبقى عليه، غير أنه إما أن يكون طويلا فيساعد على توقع المضمون الذي يتلوه، وإما أن يكون قصيرا وحينئذ فإنّه لا بدّ من قرائن فوق لغوية توجي بما يتبعه"⁹

ومن خلال هذا المعنى يتضح أن عنوان القصيدة ما هو إلا المفتاح الأساسي للكشف عن مضمونها، فإن كان جملة بسيطة فإنه سيكون نصا مختصرا للمضمون فيستغني القارئ بذلك عن قراءتها وإن كان قصيرا غامضا فيتطلب من القارئ الاستعانة بمدلولات إيحائية أخرى تمكنه من فهمه.

كما يعرف سعيد يقطين العنوان: "بأنه عبارة عن تلك البنية النصية التي تشترك وبنية نصية أصلية في مقام وسياق معينين، وتجاورها محافظة على بنيتها كاملة ومستقلة، وهذه البنية النصية قد تكون شعرا أو نثرا، وقد تنتهي إلى خطابات عديدة، كما أنها قد تأتي هامشا أو تعليقا على مقطع سردي أو حوار وما شابه"¹⁰.

فالعنوان عنده بنية جزئية من بنية كلية (أي المضمون) له كيانه المستقل عنها مع أنهما بنيتان متصلتان ببعضهما البعض كاتصال عنوان القصيدة بمضمونها، كما أنه اعتبر العنوان هو كل المتعاليات النصية التي تتصل بأي مقطع سردي وخطاب أدبي.

أما الدكتور كُرَيْم بلال فيرى أن العنوان الشعري "عبارة يستعمل بها العمل الشعري (.....) ويكون لها الصدارة والسبق؛ فهي تسبق الوحدات النصية الشعرية بأنواعها (....) ويقتضي هذا العنوان أن يكون في موضع كتابي متميز (.....) وهو بذلك الوضع المتصدر يكون تقديما للعمل، وافضاء للقارئ بشيء ما عن النص الذي بين يديه، فالعنوان يحقق للوحدات النصية التي يعنونها وجودا مستقلا تماما، أو وجودا مستقلا نسبيا في إطار العمل الكلي الذي يجمعها؛ كالقصيدة المعنونة داخل الديوان، وربما احتفظت الوحدات الشعرية المعنونة بأواصر دلالية وفنية تربطها بالعمل الكلي؛ لتكون وحدة تضافر مع غيرها من الوحدات."¹¹

فالعنوان عنده ما هو إلا عبارة مستقلة بذاتها تتمركز في موضع متميز وتتصدر العمل الشعري تحمل العديد من الدلالات المعجمية والرمزية والاجتماعية والاخلاقية تربطها بمضمون القصيدة. ومن هنا يمكن القول أنه مهما تعددت تعريفات العنوان عند مختلف النقاد من الغرب والعرب إلا إنها تصب في مضمون واحد يقصد به مجموعة من الكلمات المطبوعة من حبر على الورق والتي تحمل دلالات متعدّدة للقارئ من أجل شدّ انتباهه ولجعله يقبل على قراءة هذا العمل الأدبي المدوّن مهما كان نوع هذا العمل نثرا أو شعرا.

ثانيا: أنواع العنوان:

ومع تعدد الاعمال الأدبية واختلاف عناوينها تعددت تصنيفات العناوين عند النقاد كل حسب رؤيته، لتتشكل بذلك عدة تسميات وأقسام مختلفة لها، فمثلا "ليو هويك" قسّمها إلى قسمين هما: عنوان أصلي وهو ما يسمى اليوم بـ: Zadi وآخر فرعي Sous-titre أو ما يسميه الآخرون بالعنوان الثانوي.¹² أما كلود دوشيه c.duchet فالعنوان عنده ثلاثة أقسام وهي: "العنوان الأصلي كما عند لوي هويك، والعنوان الثانوي والعنوان الفرعي".¹³ وهو ما يحدد جنس العمل الفني. في حين أن جيرار جينيت يركز فقط على العنوان الأصلي أو الرئيسي، لأنه يعتبره أهم من كل عنوان جانبي، وهو عنده يخضع للمعادلة التالية:

- عنوان + عنوان فرعي
- عنوان + مؤشر جنسي¹⁴ وهو تحديد طبيعة العمل الأدبي (رواية، قصيدة، مسرحية، تاريخ...)، وهناك أنواع أخرى للعنوان منها:

1. العنوان الحقيقي (الرئيسي أو الأصلي للعمل) مثل: عنوان "المقدمة" لابن خلدون
2. العنوان المزيف وهو اختصار للعنوان الحقيقي يأتي في الورقة الثانية بعد الغلاف
3. العنوان الشكلي (الإشارة الشكلية)¹⁵ وهو نفسه المؤشر الجنسي
4. العنوان التجاري¹⁶ وهو ما يكون ذا طابع شهاري ويكون على المجلات والصحف
5. العنوان الفهرسي أو المفهرس¹⁷ الفهرس الذي يكون آخر الدواوين الشعرية أو غيرها.

ومهما تعدّدت العناوين إلا أنّها تعمل على خدمة عملها الفني، وهذا التنوع سيعمل على شدّ انتباه القارئ لتحديد نوعية القراءة وبثّ روح التشويق فيه.

ثالثا: وظائف العنوان:

بما أن العنوان يعطي مجرد دلالات رمزية فقط للمضمون؛ فإن وظيفته إثارة فضول ذهن القارئ للاطلاع على مضمون هذا الإنتاج الفني، أما من ناحية تسمية وظائفه فلقد تعددت من ناقد لآخر، لذا لا يمكن تحديد كل التسميات التي ذكرها النقاد فهي تختلف بحسب وجهة نظر كل واحد منهم، ومن ذلك قول رومان "جاكسون" Jakobson في كتابه (قضايا الشعرية): "إن للعنوان وظائف كثيرة يساعد تحديدها في فهم النص وتفسيره فيضياء لنا ما كان غامضًا، خاصة إذا كان النص يفتقر إلى الانسجام والوصل المنطقي والترابط الإسنادي".¹⁸

ومن هذا القول نستنتج أن للعنوان عدّة وظائف تسهم في إبراز النّص وإزالة اللبس والغموض فيه خاصة النصوص غير المتناسقة في أحداثها والمتداخلة والمتشابكة في توظيف الخيال داخلها وينقصها الترابط الدلالي، ومن بين هذه الوظائف اللغوية التّواصلية للعنوان والتي يمكن أن نشير إليها باختصار الوظائف التي حدّدها جاكبسون وهي: "الوظيفة المرجعية، الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية، الوظيفة التّأثيرية، الوظيفة الانعكاسية، الوظيفة الشعريّة.

أما جيرار جينيت G.Genette فيختصرها في أربعة عناصر وهي: الوظيفة التعيينية (التسموية)¹⁹ أي تمييز عنوان الكتاب عن الكتب الأخرى، والوظيفة الوصفية، والوظيفة الإيحائية،²⁰ والوظيفة الإغرائية²¹ ومهما تعددت الوظائف فإنه لا يمكن تعدادها في مختلف الأعمال الأدبية يظل هدفها هو تحقيق عملية التّواصل بين الكاتب والقارئ.

وبما أن الدراسة في العمل الأدبي منفتحة على كل الأجناس ارتأينا إلى حصره في مجال دراسة سيميائية العنوان الشعري باعتباره عنوانا من العناوين الأدبية أيضا، نظرا إلى أن "العنوان الشعري عنصر جمالي ذو دلالة ووظائف أدبية خاصة"²²، ولنحاول مقارنة عنوان قصيدة ابن خلوف القسنطيني مقارنة سيميائية انطلاقا من التساؤلات التالية:

ماهي الايحاءات التي تضمنها عنوان القصيدة؟ وفي ماذا تمثلت وظيفته الدلالية؟ وما مدى تعالقه بمضمون القصيدة ومضمون الديوان؟ وهل تمكن الشاعر من اختيار العنوان المناسب لقصيدته؟ وللإجابة عن هذا التّساؤل كانت الانطلاقة في تحليل القصيدة وفق مجموعة من المستويات السيميائية وقبل الانطلاق بالتحليل وجب تقديم ملخص لفحوى القصيدة.

رابعاً: مقارنة العنوان سيميائياً في قصيدة "براء العليل وري الغليل" لابن الخلوف القسنطيني:

1. مستويات تحليل العنوان:

يعدّ العنوان إشارة تواصل له وجود مادّي يتمثل في تركيبه من مفردات لغة المؤلّف أو من لغة المتن، فاللغة حسب تعريف العلماء القدامى هي أصوات يعبر بها النّاس عن أغراضهم، ويمكن إدراك هذه الظاهرة اللغوية من خلال تفكيكها إلى عناصر أوليّة تتركّب منها تعرف بالتحليل اللغوي، الذي بدوره ينقسم إلى مستويات منها: صوتي، تحليلي، نحوي، صرفي، دلالي، تركيب، تأويلي، وكل ظاهرة على حسب القدرة على استخراج المستويات التي توجد فيها، ولكن قمت بتحليل هذه القصيدة على المستويات التالية:

أ- البنية الصّوتية:

- حرف "الباء": وهو صوت مجهور وشديد، يدل على بلوغ المعنى كما يوحي بالانبثاق والظهور للإنسان العادي وإظهار رغباته المكبوتة في طبقات المجتمع²³، ويوحي أيضاً إلى نوع من القساوة والصّلابة تختلف نسبتها وتفاوت بين فئات المجتمع، ولكن في هذه القصيدة كان حرف الباء يوحي عن إظهار خلجات الشّاعر لربّه وليس للمجتمع، واعترافه بالضعف بعد القوّة التي تحلّى بها في شبابه، أي الضّعف أمام الله تعالى القادر على كلّ شيء في قوله:

يَا رَبُّ حَانَ إِصْطِبَارِي وَالْحَبِيبُ جَفَا، وَلَمْ أَجِدْ لِمُعَانَاةِ الطَّبِيبِ شِفَا²⁴

- حرف "الراء": هو صوت شفوي مجهور متوسط الشدة والرخاوة، ساكن انفجاري، يوحى بالقوة والعلو، وظيفته العودة والتكرار والترجيع ويمنح الكلمة قوة واستمرار، وهو غاية الطالب في أن يلح في طلبه ويكرره ويتخذ فيه.²⁵ وقد تكرر مرتين في العنوان في لفظتي "بزء - رى" البزء من البراء بمعنى الشفاء، والرى من الإرتواء، أي ذهب الظما وارتوى من العطش، في قول الشاعر وهو يدعو ربه بالرحمة بأسلوب المناجاة:

رَحْمَاكَ، رَحْمَاكَ بِي إِنِّي إِضْطَرَّرْتُ وَقَدْ جَعَلْتُ حَسْبِي مَدِيحَ الْمُصْطَفَى وَكَفَى²⁶

- حرف "الهمزة": هو صوت مجهور وانفجاري يوحى بالبروز والتتواء أكثر مما يوحى بالقوة.²⁷ ليعبر به الشاعر عن انفجار مشاعره وبروزه في كل مكان زاره ومدى قوته في سن شبابه في قوله:

وَلَمْ تُصْغْ لِأَحَادِيثِ التُّقَى أَذُنِي، وَلَا إِنْتَنَى لِلْهُدَى قَلْبِي، وَلَا إِنْعَطَفَا²⁸

- حرف "العين": صوت حلقي، مجهور، رخو، متوسط الشدة، ومخرجه من وسط الحلق وصوته من الحروف الشعورية الحلقية التي يقدمها الفراهيدي وابن سينا والعلالي على صوت الهاء، ويوحى صوت العين بالفاعلية والإشراق والظهور والسمو،²⁹ وهذا الإشراق الذي يظهر وجه المريض بعد شفاؤه والمتقم بعد انتقامه ووجه العطشان بعد ارتوائه وهو حرف اشراق به عنوان القصيدة فتسامى عن باقي عناوين الديوان كما اشراق وجه الشاعر برحمة ربه وارتفاع وعلو مكانة النبي ﷺ عند ربه في قول الشاعر:

دَانَتْ بِأَطْرَافِهَا الدُّنْيَا لَهُ فَسَمَا عَمَّهَا إِزْتِفَاعًا، وَلَمْ يَمُدُّ لَهَا طَرْفَا³⁰

- حرف "اللام": تكرر ست مرات في العنوان وهو صوت مهجور متوسط الشدة والرخاوة، يوحى بمزيج من الليونة والمرونة للدلالة على البنية والتمسك³¹، في قول الشاعر وهو يمدح رسول الله ﷺ وكأنه عندما تضيق به يذهب لاستشارته معبرا عن هدوء صوته في التعطف للرسول:

وَلَا تَقْلَصْ ظِلِّي وَالتَّجَّاتُ لَهُ إِلَّا التَّجَّاتُ لِظِلِّ بِأَمْنِي وَرَفَا³²

- حرف "الياء": تكرر في العنوان ثلاث مرات وهو صوت شجري، رخو ومهموس، يوحى بالانفعال المؤثر في البواطن، وهو قريب من الواقع ولكنه قاصر³³، وفيه يحاول الشاعر التقرب من الله ليطلب الرحمة والغفران والتوسل له ليرحم والديه فلا يجز بذنب عصيانهما واتعهما في تربيته قديما في قوله:

أَمَرْتَنِي أَنْ أَقُولَ إِرْحَمُهُمَا، فَأَجِبْ قَوْلِي لَكَ إِرْحَمُهُمَا وَأَسْكُتُهُمَا الْغُرْفَا³⁴

- حرف "الواو": لينة جوفية هي (للفاعلية) كما يقول الأرسوزي، و(الانفعال) المؤثري للظواهر كما يقول العلالي، وهذان التعريفان قريبان من الواقع إلا أن تعريف الأرسوزي هو الأدق، وهي مجهورة واحتكاكية وتعد من أنصاف الصوائت،³⁵ في قول الشاعر:

لَوْلَاهُ لَمْ يُبْدِ لَوْحًا، لَا، وَلَا قَلَمًا وَلَا سَمَاءً وَلَا صُبْحًا، لَا سَدَفَا³⁶

- حرف "الغين": وهو صوت مهجور رخو، احتكاكي، حلقي من الحروف البصرية، وقد اتفق العلالي والأرسوزي على أنه (لغور المعنى والغموض والخفاء)، أي أنه يوحى بالغموض وبالإحياء والعدم، وصورة في الطبيعة صورة تمثيلية تعني الاهتزاز والاضطراب وبعثرة في النفس ودغدغة محسنة أو غرغرة الموت.³⁷ وهنا يصور الشاعر مدى ضعف الانسان بعد سكرات الموت وخروج الروح وانسياق الانسان للحساب في قبره في قول الشاعر:

فَفِي قَتَادَةٍ لَمَّا رَدَّ مَقْتَلُهُ سِرُّ غَرِيبٍ لَمَنْ عَن قَلْبِهِ كَشَفَا³⁸

نلاحظ أن عنوان قصيدة "بَرَاءُ الْعَلِيلِ وَرِيُّ الْغَلِيلِ" يختتم بحرف اللام الذي تكرر ستّ مرّات في العنوان، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على اللّيونة والمرونة للدلالة على تمسّك الشّاعر بحبّه للنبيّ ﷺ وبأنّه قدوته في هذه الحياة، كما يدلّ على تمسّك الشّاعر بالدين الإسلامي والعقيدة النّبويّة، وعلى رقّة قلبه وإحساسه بالضعف أثناء مرضه وعودته إلى السّراط المستقيم لتضّرع لله بالرحمة وطلب الشّفاة من النبيّ ﷺ وإدراكه أن ما فعله من آثام في صغره أثناء شدّته وقوّة جسمه لم تدم له في هذه الحياة.

ب- البنية المعجمية:

هو ودراسة المفردات المعجميّة التي وردت في القاموس أو المعجم؛ فحسب معاجم اللغة العربية ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة (باب الباء) من مادة (ب ر أ):

بَرَأَ: (مفرد) مصدر بَرَأَ / وبَرُؤًا / وبِرْؤًا / وبِرْئًا / بَرِيءًا / بَرِيءًا من، ويقال بَرَأَ: (مصدر مفرد) وهو من المصطلحات التي تعني الشّفاء والعافية بعد السّقم (مصطلحات فقهية)، بَرُؤًا من الشّخص: تباعد وتخلّى عنه "بَرُؤًا من أصدقاء السّوء"، وأبرأ الله المريض من علّته: أي شفاه وعافاه منها، ويقال في المثل العربي القديم: لا يُبرئُ عليلًا ولا يشفي غليلًا.³⁹

أما لفظة "الغليل" فقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة في باب (العين) من مادّة (ع ل ل)

- الغليل: (مفرد) ج عليلون وأعلّاء، مؤنثه عليلة وعليل، ج مؤنث عليلات وعلائل: صفة مشبهة من علّ، نسيم رقيق لئب الهبوب، منعش لطيف، هواء عليل،⁴⁰ وجاء في معجم الوسيط (باب العين): فلان علّ: مريض فهو عليل، أي مريض⁴¹

أمّا مفردة "رِيّ" فقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة في باب (الراء) من مادة (ر وي)

- رِيّ: (مفرد): مصدر رويّ من ورويّ⁴²

أما لفظة "الغليل" فقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة في باب (الغين) من مادّة (غ ل ل)

- الغليل: (مفرد): ج غلائل (لغير المصدر): مصدر غلّ، غلّة: شدّة حرارة العطش "أطفأ غليله بالماء البارد"، غيظ وحقد "شفى غليله منه: انتقم وأذهب غيظه وحقده، برد غليله،⁴³ وجاء في معجم الوسيط باب (الغين) الغليل هو شدّة العطش وحرارته.⁴⁴

من خلال البنية المعجمية للعنوان نستنتج أن العنوان عبارة عن مزيج بين جملتين مركبتين بالإضافة معطوفتين على بعضهما البعض، فالأولى تدلّ على شفاء المريض والثانية تدلّ على ارتواء العطشان، فارتبط مع الحالة الجسدية التي تماهى معها الشّاعر في شخصية المريض والمنتظر فرجا وارتواء من رحمة الله، وهو حقل مادي تعالق مع الديوان جني الجنتين في مدح خير الفرقتين والمتمثل في جزاء جنة الدنيا والآخر في مدح الله والنبي ص فتقاطعت القصيدة مع الديوان في المدح النبوي.

ت- البنية النحوية:

وهي البنية التي تحتلّ الكلمات فيها مواقع معينة "رتب" وتشير إليها علامات معيّنة نسّمها علامات الإعراب في العربيّة والتي تدلّ على نوع العلاقة الوظيفيّة والدلاليّة التي تربط بين الكلمات أو المفردات داخل التركيب، ومن خلال هذه البنية نجد أن عنوان قصيدة "بَرَاءُ الْعَلِيلِ وَرِيُّ الْغَلِيلِ" عبارة عن جملتين اسميتين تتألف كل واحدة

ط/د مباركة باحدي ، أد/زينب قوني سيميائية العنوان في قصيدة "برء العليل وري الغليل" لابن الخلوف القسنطيني
منهما من (مسند ومسند إليه) هما: (بَرْءٌ + الْعَلِيلِ) و(رِيٌّ + الْعَلِيلِ)، ولهذا سنورد كل جزء منهما بتعريف خاص
يوضح الاختلاف التحويلي بينهما:

- بَرْءٌ: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره لمبتدأ محذوف تقديره هذا برء، وهو مضاف.
 - الْعَلِيلِ: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.
 - الواو: حرف عطف، لكن العطف هنا عطف جملة على جملة
 - رِيٌّ: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره لمبتدأ محذوف تقديره هذا ري، وهو مضاف.
 - الْعَلِيلِ: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.
- فالعنوان مكون من جملتين اسميتين معطوفتين يشكّان مقابلة بالتضاد، فهما جملتين مختلفتين في الحقل
الدلالي والمعجمي، بحيث توحى جملة بَرْءٌ الْعَلِيلِ إلى شفاء المريض السقيم، وأما جملة رِيٌّ الْعَلِيلِ فتوحى ارتواء
وظماً العطشان، وبالمفهوم الكلي تعني شفاء المريض وفرحته بانتهاء السقم كلياً؛ إذ تمثّل ابن الخلوف في هيئة
المريض العليل الذي أنهكه المرض وشفاهه يكون إلا من عند الله، فهذه القصيدة تعبر عن تماهي الشاعر في
المرض ليظهر ضعفه أمام قدرة الله، ومن أجل الحصول على شفاعته رسول الله بسبب الذنوب التي ارتكبها في
شبابه، وبالتالي صار يمدحه إلى أن تماهى في مدحه وكأنه أحد صحابته ورفاقه، فهذا العنوان جاء مركباً بالإضافة
لشدّ انتباه القارئ ودفعه للانغماس في أعماق القصيدة.

ث- البنية التركيبية:

بعد التعرف على دلالات عنوان " بَرْءٌ الْعَلِيلِ وَرِيٌّ الْعَلِيلِ " من الناحية الصوتية والمعجمية والنحوية، الآن
حان دور دراسته من الناحية التركيبية، وبما أن اللغة هي مجموعة أنظمة بنائية وتركيبية، فأى دراسة أي بنية
لغوية يجب التطرق فيها إلى مختلف الأبنية النحوية لجملة العنوان، من حيث الأسماء والتعريف والتنكير
والتعرف على طبيعة العلاقات بين الألفاظ لمعرفة حركة العنوان الدلالية.

جاء عنوان قصيدة "بَرْءٌ الْعَلِيلِ وَرِيٌّ الْعَلِيلِ" على شكل جملتين اسميتين معرفتان بالإضافة معطوفتين على
بعضهما البعض، كما تطرّقنا إلى اعرابهما سابقاً في البنية النحوية، وعلى ذلك التعريف وهذا التركيب ودّد
استخراج بعض الدلالات.

فنطرح بعض التساؤلات: إذا كان العنوان عبارة عن جملتين مركبتين بالإضافة ومعطوفتين فما هو نوع هاتان
الجملتان؟ وما هي دلالة التنكير والإضافة والحذف فيه؟

1. نوع الجمل:

بما أنّ العنوان جاء على شكل جملتين كل واحدة فيهما متكونة من مفردتين اسمين (بَرْءٌ + الْعَلِيلِ) و (رِيٌّ +
الْعَلِيلِ)، فإنّ دلالة الجملة الأولى عن الشفاء ودلالة الجملة الثانية عن الراحة، وعند إسقاط هذه الدلالة
(الشفاء والراحة) على متن القصيدة وعنوانها نجد أنها مبنية على عكس ذلك (أي على الزهد والتصوّف) حيث أنّ
القصيدة كانت مبنية على التمثّل بالمرض من أجل مدح خير الأنام وإظهار قدرة الله تعالى والتعقّف من ملاذ
الحياة، فابن الخلوف خلال نسجه لهذه البنية السطحية والمتمثلة في الاسمية عمل على تمويه البنية العميقة؛
إذ أنّه طرح في قصيدته هذه عدّة عبر في الدين اشتملت على قدرة الله العجائبية وسعة رحمته ومدح رسوله الذي

يملك الشّفاة والعجز عند المرض والزّهد من الدّنيا والتّصوف، وكان الشّاعر قد تماهى في مدحه لدرجة أنّك تخاله يعيش في نفس زمن النبي ﷺ وتفاعل معه، فأراد أن يبيّن لنا من خلال قصيدته هذه أن الإنسان غير دائم في الحياة مهمها كثر أصحابه، وأن الرسول ﷺ هو خير من خلق الله على الأرض وهي أفضل رسالة يبثها ك نصيحة قيمة للقارئ فعبر عن ذلك الوضع بقوله:

خُلَاصَةُ الْحَقِّ خَيْرُ الْخَلْقِ شَمْسُ الضُّحَى الْعُلَيَاءُ كَنْزُ الْمَعَالِي الرَّوْضَةُ الْأَنْفَا
فَهُوَ الشَّفِيعُ الْوَجِيهُ الْمُرْتَضَى كَرَمًا وَهُوَ الْحَبِيبُ الْخَلِيلُ الْمُصْطَفَى شَرَفًا³⁶²

إذ لم يكتف الشّاعر بمدح الرسول فقط بل مدح حتى أقرب النّاس إليه ليؤكد أن قصيدته غرضها مدحه للحصول على شفاعته بقوله:

خَتَمْتُهُ بِمَدِيحِ اسْتَجِيرُ بِهِ جَدْوَى عَلَاهُ وَاسْتَكْفِي بِهِ الْكَلْفَا³⁶⁹

2. دلالة المصدر ودلالة التّنكير والتعريف:

وردت لفظتي "برء + ري" مصدر نكرة ولكنهما معرفتان بالإضافة (برء العليل)(ري العليل) وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أن من دلالات المصدر وقوع حدث بلا زمان أي أن مصدر الشّفاء وذهاب الظّمأ وشفاء الغليل ليس لهما زمن محدد عند الله سبحانه، وأمّا التّنكير فيدلّ على إنكار الشّاعر لكلّ ما يمكن أن يحدّد زمن نزول الشّفاء والرّحمة، وأمّا دلالات المعرفة هي التصريح والتأمّل في طبيعة النّفس من خلال الاطلاع على تجارب الآخرين وقراءة استنتاجاتهم والملاحظ على هذا التّركيب أنّه جمع بين مصدر نكرة و اسم معرفة في جملتين؛ أي بين مصدر يوحي بعدم معرفة زمن الحدث وهو برء وري، وبين صفة ترتبط بالمصدر وطبيعة الإنسان المتمثل في المريض والعطشان(العليل والغليل)، وقد صرح في قصيدته في قوله:

أَنَا الظَّلِيلُ الَّذِي تَاهَ الدَّلِيلُ بِهِ، أَنَا الْعَلِيلُ الَّذِي أَضْنَاهُ مَا إِفْتَرَفَا
الْأَمْرُ لِلَّهِ مَهْمَا شَاءَ يَفْعَلُهُ إِنَّ شَاءَ عَفَى، وَإِنْ شَاءَ ابْتَلَى وَعَفَا³⁶¹

من خلال معرفة قراءة العنوان، لأوّل وهلة ووفقاً للمرجعية الآنية له، نلاحظ بأنّه يعمل على شدّ انتباه القارئ (المتلقّي) وتمويه الرّؤية الصّحيحة للمعنى المقصود، وبالتالي دفع هذا القارئ إلى قراءة القصيدة، وهذا الغرض الإشهاري الإغرائي للعنوان، وهو ما أراد الشّاعر تحقيقه، فقد كان يرمز من خلال هذا العنوان إلى تمثله في حالة جسدية ونفسية يمرّ بها كل إنسان عليل، وأنّ مسار خط حياته عند المرض سيتمثل أمامه وكأنّه شريط فيلم سينمائي يعرض أمامه، وأنّ كل الأفعال التي يتلذذ بها في الدّنيا لن يجد طريقاً إلّا العودة لسرّاط المستقيم وإتباع قدوته في الحياة وهو محمد ﷺ

3. دلالة الإضافة:

جاء عنوان "برء العليل وري الغليل" مضافاً لمعرفة، من أجل إيضاح المعنى وإزالة الالتباس، فقد أظهر الشّاعر الحالة النفسيّة والجسديّة لشخصيّته في العنوان ولكنه أنكر زمن حدوث تغيّر الحالة وكل ذلك من أجل شدّ انتباه القارئ، وبما أن إضافة الاسم المعرفة للاسم النّكرة (مصدر) مهم جداً لإزالة الغموض وكشف السّتار عما حصل لهذه الشخصية، فإن الإضافات التي قدّمها الشّاعر في قصيدته كانت مهمة جداً لتفسير الحالة التي عاشها الشّاعر في زمن التّصوّف والتّشدد في العقيدة الإسلامية ليصوّر لنا مدى التزام سكّان المغرب العربي عامّة والجزائر خاصّة بالدين الاسلامي.

4. دلالة الحذف:

تجلى في عنوان "بَرءُ الْعَلِيلِ وَرِيُّ الْغَلِيلِ"، الحذف الذي له عدّة دلالات منها: الإيجاز والتّنبه والاختصار، ثمّ التّشويق وشدّة الانتباه، وقد تمثّل الحذف في العنوان في حذف المبتدأ مرّتان ليظهر خاصيّة دلاليّة اختصت في تمويه المتن وإخفاء موضوعه خلال استخدام بعد الحذف.

فالشّاعر الجزائري ابن الخلوف في قصيدته هاته سنح لقرّائه الكشف عن هذا المحذوف من خلال قراءة أبيات القصيدة، إلّا أنّ الكشف الحقيقي لهذا التّمويه في العنوان يكون من خلال الدّخول في أعماق أبياتها المبنية بلغة صوفيّة دالة وفهم المغزى الذي يرمي إليه هذا العنوان، ولعلّ السبب في هذا الحذف أنّ الشّاعر أراد اختصار المعنى وشدّ انتباه القراء وتمويه المضمون للكشف فيما بعد عما يريده من كل هذا وهو مدح النّبي ﷺ، كما ورد في قوله:

رَحْمَاكَ، رَحْمَاكَ بِي إِنِّي اضْطَرَرْتُ وَقَدْ جَعَلْتُ حَسْبِي مَدِيحَ الْمُصْطَفَى وَكَفَى⁴⁵

ج- البنية الدلاليّة:

لكل لفظ مدلول يفهم معناه، لذا فالبحث الدلالي يعد مرتكزاً لدائرة علم اللّغة الحديث وفيه يتم التّعرف على المفردات وأصلها التّاريخي ومسار تطوّرها ومجال استعمالها مما يفتح باب قضية التّعدّد الدلالي والاشتراك اللفظي والتّرادف والتضاد والمكونات الدلالية للفظ الواحد.

والتأمل لعنوان "بَرءُ الْعَلِيلِ وَرِيُّ الْغَلِيلِ" يلاحظ جلياً أنّ العنوان يوحي بحالة من الفرح والسّعادة للوصول إلى نهاية سعيدة بعد ضياع، "فَبَرءُ الْعَلِيلِ" جملة تدلّ على صورة المعاناة والتّعب والمرض لمُدّة من الرّمن ونهايتها كانت بالشّفاء، "وَرِيُّ الْغَلِيلِ" توجي بالظلمة بعد شدّة العطش؛ أي تمثّل صورة العطشان الضّائع في مكان حار لا ماء فيه، أو الشّخص الذي يلهث وراء شيء ولكنه في الأخير ارتوى ريقه ووصل إلى مراده وهذا ما صوّرته القصيدة، فالشّاعر صوّر لنا مرضه وابتعاد النّاس عنه، فأصبح متعطّشاً لمن يسمع شكواه ويواسيه ويريح ظمئه فلم يجد إلّا الله تعالى لمناجاته ولم يجد سبيلاً إلّا طلب الشّفاة من رسوله الكريم، فلا شفاء إلّا بيد الله ولا ارتواء ظمأ ماء الجنة دون رحمة ومغفرة منه ولا شفاة إلّا من رسوله، وعلى حد قول السّارد:

أَنَا السَّقِيمُ الَّذِي خَانَتْهُ صِحَّتُهُ، أَنَا الْمُقِيمُ عَلَى الْحَرْفِ الَّذِي انْحَسَفَا
أَنَا الظَّلِيلُ الَّذِي تَاهَ الدَّلِيلُ بِهِ، أَنَا الْعَلِيلُ الَّذِي أَضْبَاهُ مَا اقْتَرَفَا

ففي هذين البيتين يعترف السّارد بمرضه وعلته وأنّ الشّفاء من الله تعالى، وأنّه هو الضّلِيلُ الَّذِي ظَلَّ طريقه فاشتدّ به عطشه بسبب لهوه بأمور الدنيا ومجونه فنسي آخرته فلم يجد طريقاً وسبيلاً للعودة مما اقترف. ويظل العنوان فيه بعض الغموض لأنّه يتكون من تناقض بين المريض الذي شفي وبين العطشان الذي ظمأ، ليحمل في طياته مفارقة بين حكايتين في قصيدة واحدة.

ففي أول استقراء للعنوان تظهر الكلمات بسيطة ومفهومة على دارس اللّغة العربيّة، إلّا أنّه يبقى في لبس في كلمة الغليل التي لها دلالتين في المجتمع، فريُّ الغليل قد توجي بظماً العطشان كما أنّها توجي براحة المنتقم ووصوله لشفاء غليله من منتقمه، فبأخذنا العنوان بذلك إلى فهم آخر وهو شفاء المريض بعدما أراح انتقامه،

فالعنوان يحيل إلى حالة من الراحة والاستقرار بعكس ما يكون في المثل العربي القديم: لا يُرَىُّ عليلاً ولا يشفي غليلاً، أي لن يرتاح المريض حتى يشفى ولن تهدأ نار المنتقم حتى يصل إلى مراده ولن يرتوي العطشان الا اذا شرب ماء، الا أن العنوان يبتعد كلياً عن مضمون النص المتمثل في مدح النبي (ص) لان الشاعر البس العنوان ايحاءات اخرى تجعله يوصلنا إلى وحدات دلالية ربما تحيل إلى:



رسم تخطيطي يوضح سيميائية عنوان القصيدة

ح- البنية التأويلية:

من أجل تأويل أي عنوان للمتن السردى على القارئ أن يتسلح بأدوات للقراءة السليمة مع وجود فكر واعي ومتمعن لمفردات ومفاتيح القصيدة الصوفية على لسان السارد الذي يتحكم في مجريات الأحداث.

1. عتبة السارد (الراوي):

لم تتعدّد الشخصيات الساردة في هذه القصيدة لأن الشاعر وظّف هدفاً محدداً لتعبير عن أحداث الحالة النفسية التي يمرّ بها، لذلك وظّف السارد ضمير المتكلم في سرد وقائع حدثت له شخصياً وتمثل في دور البطولة، فيسرد وقائع حياته أثناء الشباب والقوّة وما بعد الشباب (سن الشيخوخة) والعجز واقتراب المنية ليلجأ إلى المدح والعودة إلى طريق الله الذي لا طريق غيره للإنسان في قوله:

يَا أَرْحَمَ الرَّحْمَاءِ مَا بِي سِوَالِكَ وَقَدْ
وَأَفَيْتُ عَبْدًا ذَلِيلًا يَا نَسًا ذَنْفًا
يَا أَرْحَمَ الرَّحْمَاءِ اكْشِفْ مَا اعْتَرَى بَصْرِي
بِسِرِّ يَعْقُوبَ وَأَصْرِفْ عَنِّي الضَّعْفَا
يَا أَرْحَمَ الرَّحْمَاءِ اخْتِم بِالرِّضَا عَمَلِي
يَا أَرْحَمَ الرَّحْمَاءِ، يَا أَرْحَمَ الرَّؤُفَا

من بداية القصيدة إلى آخرها سيطر السارد على أحداث القصيدة من أجل أن يسرد لنا آلامه وآماله في الشفاعة والرحمة والستر ومسح لذنوب، فكان جميع ما يسرده هو مدح لرسول ﷺ من أجل الحصول على شفاعته وطلب المغفرة من الله، إلا أنه ختمها في الأخير بمدح لملوك عصره ليحدّد لنا الزمن الذي عاش فيه، فبمدحه هذا كأنه أراد التقرب من الحكام لأجل تعظيم شأنه كشاعر، كما أنه بالغ فيه مدح الرسول ﷺ إلى درجة التماهي وكأنه سارد مصاحب لشخصية الرسول ﷺ، موظفاً رؤية مصاحبة تعلم فقط ما يعلمه أصحابه عن شخصية النبي ﷺ، وكأنها سرد ذاتي لأحداث من حياته صاحب ورافق فيها خير الأنام محمد ﷺ.

3- وظائف العنوان:

جاء عنوان قصيدة " براء العليل وري الغليل" عنواناً فرعياً من مجموعة قصائد ديوان جني الجنّتين في مدح خير الفرقتين لابن الخلوف القسنطيني، إلا أنه يعتبر العنوان الأصلي والرئيسي للقصيدة وقد تنوعت وظائفه بتعدّد الخاصية التي يريد بها الشاعر تمويه القارئ، إلا أنني سأقتصر على وظيفتين هما:

أ- الوظيفة التفسيرية الوصفية:

في هذه الوظيفة يطرح العنوان نفسه دون غموض أو إبهام يريد الشاعر منها إحداث ردّة فعل لدى المتلقي، فالعنوان إذن هو وصف لظاهرة تحدث عنها الشاعر في بَرءِ الْعَلِيلِ وَرِيِّ الْغَلِيلِ، وهي ظاهرة الصّراع بين الدّنيا وملذّاتها والآخرة وجنّاتها، بين إرضاء شهوات النّفس وقمعها لإرضاء الله تعالى، فذهب الشاعر يصف حالة الإنسان عندما يشعر بالمرض وتقرب نهايته ويستيقظ من سباته في هذه الدنيا الزائلة، فيصبح متعطشا للإعادة الرّمن به لتحسين أفعاله أو أن ينتظر رحمة من الله ليغفر له ذنوبه ويشفع له الرّسول ﷺ، فالإنسان في تلك الحالة كالعطشان الذي ينتظر بفاغ الصّبر أن يروى من ماء الرّحمة، ومن ذلك قول السّارد:

يَا حَسْرَتَاهُ، وَيَا وَيْلَاهُ كَمْ بَطَرْتُ
وَكَمْ سَدَلْتُ رِذَاءَ التِّيهِ مُنْتَشِيًا
نَفْسِي مَعِيشَتَهَا، وَاعْتَادْتُ الْجَنَفَا
أَمْشِي الْهُوَيْنَا، وَأُثْنِي مُعْطَفَا صَلَفَا⁴⁶

ليصور لنا تصويرًا دقيقًا مشهد الحسرة والنّدم ولوم النّفس عندما اكتشف أن الحياة لا تدوم بعدما تخلّى عنه أصحابه وأحبابه، وخوفه من عقاب الله بعد المعاصي التي ارتكبها ويصف السّارد شدّة مرارته من ترك أحبابه له كما أن صحته خانته وراح شبابه الذي يفخر به فزهّد الحياة بعد هذه العلل التي أصابته واقترب أجله واشتدّ عليه الألم وملّ من زيارته كل أقرباءه في قوله:

يَا رَبُّ حَانَ إِصْطِبَارِي وَالْحَبِيبُ جَفَا،
وَضَرَّنِي رَمْدٌ أَوْدَى الْعُيُونََ إِلَى
وَمَلَّنِي عَائِدٌ مَا كُنْتُ أَحْسَبَهُ
أَنَا الْغَرِيبُ الَّذِي أَقْصَاهُ مُؤْنَسُهُ،
وَلَمْ أَجِدْ مُعَانَاةَ الطَّيِّبِ شَفَا
أَنْ رَقَى لِي الشَّامِتُ الْجَانِي فَوَا أَسَفَا
يَمَلُّ حَتَّى لَوَى، وَأَزُورُ وَإِنْ حَرَفَا
أَنَا الْكَنِيبُ الَّذِي قَدْ لَازِمَ الدَّتَفَا⁴⁷

والقصيدة تسلسل ذكيّ للأحداث بامتثال السّارد في شخصية إنسان مريض عرف قيمة الدّين والآخرة بعد فوات الأوان، فلم يجد سبيلًا لطلب المغفرة إلا الدّعاء لله ومدح النّبويّ ﷺ للحصول على الشّفاة ومدح لقامة من ملوك زمانه وشيوخه والدّعاء لوالديه لعلّ الله يغفر له، وتبقى له هذه القصيدة كالوصيّة يتذكّره بها كل من يقرأها ورسالة لعدم اتّباع المجون والغوص في ملذات الحياة والقيام بأعمال الخير فقط.

بناء على ما تقدم نجد أن الوظيفة التفسيرية/الوصفية مجسدة في ثنايا العنوان (بَرءِ الْعَلِيلِ وَرِيِّ الْغَلِيلِ)، وأنّ السّارد استطاع أن يصرّو نهاية كلّ إنسان انغمس في الملذات ونسي الآخرة، مستخدمًا الألفاظ الصّوفية لأنّه كان يعيش في زمن التّصوّف والزّهّد والتّمسك بالدّين.

ب- الوظيفة الشعرية/الجمالية:

يعد مضمون هذه الوظيفة باعتبارها ذات طابع فنيّ إبداعي، وينطلق الإبداع الفنيّ من خلال اختيار جمالية الأصوات في العنوان ففي كلّ صوت من أصواته، فيظهر الجمال الإبداعي في المفردات مرورًا بالسّياق التركيبيّ الذي يخرج به العنوان من عالم الواقع إلى العالم المتخيّل، متألقًا بالجمال البلاغيّ وأسلوب الإبهام والغموض، فتأثّر تدريجيًا على القارئ ليشدّ انتباهه من أجل الغوص في قراءة المتن.

وتظهر المقدرة الجمالية لعنوان "بَرءِ الْعَلِيلِ وَرِيِّ الْغَلِيلِ" بدء بالصّعيد الإيقاعي الصّوتي، وذلك باستعماله مزيجًا من الأصوات التي تباينت بين الرّخو والشّديد وبين المجهور والمهموس، وهذه الأصوات اختارها متعدّدة المخارج، إضافة إلى هذا يفتح عنوانه بحرف الباء الشّفوي المجهور للأخبار عن بداية بارزة وواضحة لكل المجتمع

ط/د مباركة باحدي ، أد/زينب قوني سيمائية العنوان في قصيدة "براء العليل وري الغليل" لابن الخلود القسنطيني
ولكل من يقرأ العنوان، ويختمه بحرف تكرر ستّ مرّات في العنوان وهو صوت مهجور متوسط الشدّة والرّخاوة،
في مزيج من اللّيونة والمرونة للدّلالة على البنية والتّمسك، ومقصده التّمسك بالأمل وعدم اليأس.
يزداد عنوان القصيدة جماليّة وراحة نفسيّة عند قراءته وكأنّه يرسل رسالة لنهاية المرض ولنّهاية الغليل،
وهذه الصّورة زادت العنوان قوّة بلاغيّة مشحونة بألفاظ دالّة، ومنه فعنوان بَرءُ العَليْلِ وَرِيّ الغَليْلِ مزيج بين
معايير جماليّة وإغرائيّة تدفع القارئ إلى معرفة مقصد الشّاعر داخل هذه الحكاية لفهم مغزى العنوان.
4- علاقة عنوان القصيدة بمضمونها ومضمون الديوان:

لا يمكن فهم دلالات العنوان الا بالرجوع للّمتن، فهما يرتبطان ببعضهما البعض ضمن علاقة تفاعلية
وتكاملية، فالعنوان ما هو الا اعلان يوحي للمضمون الّذي يُعرف بعد القراءة، فالعنوان بعيدا عن مضمونه بنية
فقيرة لا يملك من مستواه الدلالي الا ما تتضمنه المعاجم اللغوية، ولذا يصعب معرفة دلالاته الحقيقية، ومن هنا
وجب ارجاع العنوان إلى نظامه النصي للوقوف عند دلالاته التي تظهر من خلال علاقته البنائية التي يقيمها مع
عنصر هذا النظام.⁴⁸

وحتى ندرك دلالة عنوان قصيدة "بَرءُ العَليْلِ وَرِيّ الغَليْلِ" يتعين علينا مراجعة المقاطع السردية الموجودة في
القصيدة والتي تتوافق وتتلاقى مع العنوان معنى أكثر منها لفظا ومنها قول السارد:

أنا الظَّلِيلُ الَّذِي تَاهَ الدَّلِيلُ بِهِ، أنا العَليْلِ الَّذِي أَضَنَاهُ مَا اقْتَرَفَا⁴⁹
وكم وردت بمعناه على الظما من مورد ربه قد أوردت اللهفا⁵⁰

ويقول:

لولا له لم يبرح لوحا، لا، ولا قلما ولا سماء ولا صباحا، ولا سدفا
ولا حياة، ولا براء، ولا سقما، ولا انبساطا، ولا قبضا، وبل تلفا⁵¹

تدل هذه المقاطع السردية على أن اختيار الشاعر للعنوان لم يكن عبثا ولا اعتباطيا بل ضم قدرا كبير من
القصيدة في اختياره لقصيدته دلاليا يؤدي بنا إلى تأكيد العلاقة التكاملية بين العنوان والقصيدة والتي حتما
تكشف لنا على سر اختيار العنوان بالدرجة الأولى، لأن مقصديته لم تكن اظهار مضمون النص بل الباس
العنوان التصريح والغموض فصيح في الشق الأول بالمرض وهو ما يظهر في مطلع القصيدة من خلال قوله انا
العليل الا انه لم يصح بالشفاء وجعله لفظا ايحائيا يستشفه القارئ من المعنى القصيدة، واللبس الشق الثاني
من العنوان الغموض ليصرح به دلاليا في الابيات بشفاء غليله من خلال معاقبة الله سبحانه وتعالى لعباده
الظالمين والاقوام الظالمة السابقة الّتي جارت بظلمها على النبي، فلم تتكرر ألفاظ العنوان في ثنايا القصيدة على
لسان الشاعر بل تكررت مدلولاتها فقط وهذا ما أوضح انتماء القصيدة للعنوان والعنوان للقصيدة.

أما من ناحية ارتباط العنوان بمضمون الديوان وعنوانه فلقد اشترك كل من العنوانين في ذات اللفاظ
فكلاهما يبدأ بمصدر "براء، ري/ جني، مدح، خير" وكلاهما جاء جملة تضم مفردات اسمية "العليل، الغليل/
الجنّتين، الفرقتين" فالقصيدة الشعرية تتعالق مع الديوان في المضمون فكلاهما في مدح النبي(ص) وكلا
العنوانين يحملان العديد من الايحاءات لا تصرح كثيرا بالمضمون، فعنوان الديوان جاء في صيغة المثني
الجنّتين، الفرقتين) - والمقصود بالجنّتين الآخرة والدنيا أما الفرقتين المسلمين والكفار- في حين أن عنوان

القصيدة جاء في صيغة المفرد (العليل، الغليل) ليبرز أن عنوان القصيدة عبارة جزء من الدوان ولتصبح العلاقة بينهما هي علاقة جزئية من علاقة كلية.

الخاتمة:

وفي ختام هذا المقال يمكن استخلاص النتائج التالية:

1. العنوان هو عتبة من عتبات النص الموازي وهو دليل ومفتاح النص، فلا يمكن تجاوزه أو المرور عليه مرار الكرام.
2. مهما تعددت أنواع العنوان إلا أنه يبقى العتبة الوحيدة للاستدلال بالنص، وهذا ما عكسه عنوان قصيدة "بَرْءُ الْعَلِيلِ وَرَيُّ الْغَلِيلِ" لابن الخلوف القسنطيني، حيث حاول فيها الشاعر تصوير موضوع النص من خلال مقارنة العنوان للمتن، ليشغل العنوان من خلالها وظيفة شد الانتباه للمتلقى حتى يحاول فك ما بقي من العنوان من خلال قراءة القصيدة.
3. تعتبر مقارنة العنوان سيميائياً في نص شعري من الدراسات النقدية التي انفتحت مؤخراً بعدما اقتصررت كل الدراسات على الرواية والقصّة.
4. حاول ابن خلوف القسنطيني في عنوان قصيدته وديوانه ابراز خلفيته الدينية وبراعته الشعرية التي كشفت عنها الفاظه الصوفية ومدى تعلقه بمدح النبي (ص) الى درجة التماهي في مدحه، فنجح في اختيار عناوين تعبر عن مضمون ديوانه وقصيدته في المدح الديني الملتزم يتخللها بعض الغموض ليشكل بذلك استقطاباً لدراسته سيميائياً.

هوامش وإحالات المقال

- 1 - وحيد بن بوعزيز، حدود التأويل، قراءة في مشروع أمبرتو إيكوا النقدي، دار العلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م، ص 14.
- 2 - ينظر، عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، دار المحاكاة للتوزيع والنشر، دمشق-بيروت، ط1، 2011 م، ص 14.
- 3 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م، ص226-227.
- 4 - Leo hoek, la margue du titre, dispositique textuelle, moutoun, paris-la Haye, 1981, p17.
- 5 - ينظر، عبد الناصر حسن محمد، سميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، دار النهضة العربية/ القاهرة، ط2002م، ص8.
- 6 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 226-227.
- 7 - عبد الحق بلعابد، عتبات (جبرار جينيت من النص إلى المناص)، تقديم سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2008 م، ص 67.
- 8 - محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية التشكيل ومسالك التأويل، دار الأمان منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2012م، ص14.
- 9 - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 227.
- 10 - سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط2001م، ص99.
- 11 - أحمد كريم بلال، العنوان وبنية القصيدة في الشعر العربي المعاصر (دراسة في علاقته بالبنية الشعرية)، دار الناغية للنشر والتوزيع طنطا، مصر، ط2018، م1، ص23.
- 12 - ينظر، عبد الحق بلعابد، عتبات، ص 67.
- 13 - المرجع نفسه، ص 67.
- 14 - المرجع نفسه، ص 68.
- 15 - ينظر، محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفرياق، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، مج28، ع1، سبتمبر 1999م، ص 475.
- 16 - عبد القادر رحيم، العنوان في النص الإبداعي أهميته وأنواعه، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، منشورات جامعة بسكرة، (د.ط)، 2008م، ص 337.

- 17- موقع الكتروني www.allaam.net، منتدى البلاغة والنقد الأدبي لجميل حمداوي، أهمية العنوان في العمل الأدبي، تاريخ التنزيل 2012-02-17.
- 18- عثمان بدري، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي عند نجيب محفوظ، دراسة تطبيقية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2000م، ص 10.
- 19- ينظر، عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، ص 19.
- 20- ينظر، عبد الحق بلعابد، عتبات، ص 87-88.
- 21- ينظر، جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، 1999م، ص 106.
- 22- أحمد كريم بلال، العنوان وبنية القصيدة في الشعر العربي المعاصر (دراسة في علاقته بالبنية الشعرية)، ص 19.
- 23- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، دراسة منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ط)، 1998م، ص 100-101.
- 24- ابن الخلوف القسنطيني، جني الجنتين في مدح خير الفرقتين (معروف بديوان الإسلام)، تقديم وتحقيق وشرح وتعليق: د. العربي دحو ديسمبر 2004م، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، 88 شارع ديدوش مراد- الجزائر، ص 359.
- 25- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 103-105.
- 26- ابن الخلوف القسنطيني، الديوان، ص 362.
- 27- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 50.
- 28- ابن الخلوف القسنطيني، الديوان، ص 360.
- 29- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 48-211.
- 30- ابن الخلوف القسنطيني، الديوان، ص 363.
- 31- عادل محلو، علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ط1، 2009م، ص 98.
- 32- ابن الخلوف القسنطيني، الديوان، ص 369.
- 33- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 98.
- 34- ابن الخلوف القسنطيني، الديوان، ص 370.
- 35- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 95.
- 36- ابن الخلوف القسنطيني، الديوان، ص 362.
- 37- ينظر، حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 48-126-127-49-48.
- 38- ابن الخلوف القسنطيني، المصدر نفسه، ص 365.
- 39- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 1، ط1، 2008م، عالم الكتب، القاهرة، ص 179-180.
- 40- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 2، ص 1540.
- 41- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2008م، ص 623.
- 42- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 2، ص 964.
- 43- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 3، ص 1638.
- 44- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 660.
- 45- ابن الخلوف القسنطيني، الديوان، ص 362.
- 46- المصدر نفسه، ص 359.
- 47- المصدر نفسه، ص 359.
- 48- رشيد بن مالك، سيميائية العنوان في رواية نوار اللوز لواسيني الأعرج، مجموعة محاضرات الملتقى الدولي السابع "عبد الحميد بن هدوقة للرواية"، مديرية الثقافة لولاية برج بو عرييج، 2003م، ص 134.
- 49- المصدر نفسه، ص 359.
- 50- المصدر نفسه، ص 360.
- 51- المصدر نفسه، ص 362.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد كريم بلال، العنوان وبنية القصيدة في الشعر العربي المعاصر (دراسة في علاقته بالبنية الشعرية)، دار النايفة للنشر والتوزيع طنطا، مصر، ط2018، ص 1م،

2. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 1، مج 2، مج 3، ط1، 2008م، عالم الكتب، القاهرة،
3. ابن الخلوف القسنطيني، جني الجنتين في مدح خير الفرقتين (معروف بديوان الإسلام)، تقديم وتحقيق وشرح وتعليق: د. العربي دحو ديسمبر 2004م، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، 88 شارع ديدوش مراد- الجزائر،
4. جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، 1999م،
5. حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، دراسة منشورات اتحاد كتاب العرب، (د.ط)، 1998م.
6. رشيد بن مالك، سيميائية العنوان في رواية نوار اللوز لواسيني الأعرج، مجموعة محاضرات الملتقى الدولي السابع "عبد الحميد بن هدوقة للرواية"، مديرية الثقافة لولاية برج بو عرييج، 2003م،
7. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط2، 2001م،
8. عادل مخلو، علم الأصوات بين القدامى والمحدثين، ط1، 2009م.
9. عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناس)، تقديم سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2008م.
10. عبد القادر رحيم، العنوان في النص الإبداعي أهميته وأنواعه، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، منشورات جامعة بسكرة، (د.ط)، 2008م.
11. عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، دار المحاكاة للتوزيع والنشر، دمشق- بيروت، ط1، 2011م.
12. عبد الناصر حسن محمد، سميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، دار النهضة العربية/ القاهرة، ط2002م.
13. عثمان بدري، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي عند نجيب محفوظ، دراسة تطبيقية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2000م،
14. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م،
15. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2008م.
16. محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفرياق، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، مج28، ع1، سبتمبر 1999م.
17. محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية التشكيل ومسالك التأويل، دار الأمان منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2012م.
18. موقع الكتروني www.allaam.net، منتدى البلاغة والنقد الأدبي لجميل حمداوي، أهمية العنوان في العمل الأدبي، تاريخ التنزيل 2012-02-17.
19. وحيد بن بوعزيز، حدود التأويل، قراءة في مشروع أمبرتو إيكوا النقدي، دار العلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.

20. Leo hoek, la margue du titre, dispositique textuelle, moutoun, paris-la Haye, 1981, p17